تأكيد الجملة الاسمية بالقسم (الباء / الواو / التاء) في القرآن الكريم دراسة أسلوبية إحصائية	دكتور شعيب خلف

القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، سيبقى يحمل طرقًا عديدة للإعجاز، تبقى شاهدة على مدار العصور بعظمته ، وعظمة الرسالة التى جاء من أجلها للناس كافة ، وعظمة الرسول الذى حمل هذه الرسالة ، وعظمة الأمة التى خرج منها هذا الرسول ، وسيبقى خلوده أيضًا دافعًا للبحث فيه ، لعل الله يفتح لمن يبحث فتحًا ، ويعبِّد له طريقًا غفلاً ، ويسرج له سراجًا منيرًا.

أقسم الله العظيم بذاته ثم أقسم بمخلوقاته ، وليس لأحد أن يقسم بها إلا هو ، لأنه ليس لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى ، فهو عز وجل يقسم بما شاء على ما شاء (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) الأنبياء "٢٣". وقد أجاب العلماء على من سأل: القسم لا يكون إلا بالله فلماذا أقسم بما خلق ؟ فذهبوا إلى أنه على حذف المضاف ، كما فى الآيات الكريمة التى بدأت بالقسم بمخلوقات الله : أى ورب التين ، ورب الشمس ، أو أن القرآن نزل على ما تعرف العرب فقد كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها .. قال ابن أبى الأصبع فى أسرار الفواتح : القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول من غير فاعل. (١)

والتوكيد بالقسم هو نوع من طرق وأساليب التوكيد المتعددة التى استخدمها المولى عز وجل فى كتابه العزيز ، فهناك التوكيد اللفظى ، والتوكيد المعنوى مثل : (نفس ، عين ، جميع..) والتوكيد باستخدام

الحروف الزائدة مثل : (الباء ، من ، ما ، اللام ، الكاف ، هاء التنبيه ...) ، وضمير الفصل مثل (هو ، هى ، هم ، أنـا ، نحـن ، أنـت ..) ، وأدوات النسخ (إن ، أن ، لا النافية للجنس ..) ، والقصر، والتقديم ، والاستفتاح (ألا..) والتأكيد بالحرف مثل: (اللام الموطئة للقسم ، ولام الجواب ، ولام الجحود ، ونون التوكيد ..) وغيرها من أساليب التأكيد التى وردت فى القرآن الكريم . وهنا سنعرض إن شاء الله تعالى لتأكيد الجملة الاسمية بالقسم (الباء ، الواو ، التاء) فى القرآن الكريم متخذين الأسلوبية الإحصائية منهجاً لما تتمتع به من مزايا ــ نأمل ــ أن ترتبط بدقة المنهج وسلامة الإحصاء .

المصطلح :

يجب قبل البدء فى خطوات البحث ، تقديم تحديد للمصطلح المستخدم فيه ، وذلك لتحقيق قدرًا من الدقة فى الاستخدام ، والتمكن من الأدوات .

أولاً : التوكيد والتأكيد :

فى المعجم العربى لم يختلف كثيرًا التأكيد عن التوكيد ، قال(الأزهرى٣٧٠هـ) ... قال أبو العباس التوكيد : دخل فى الكلام لإخراج الشك وفى الأعداد لإحاطة الأجزاء ([٢]) وقال (الجوهرى ت ٣٩٣هـ) : وكدت العهد والسرج توكيداً وأكدته تأكيدًا بمعنى والواو أفصح . وكذلك أوكده وأكده إيكادًا ..أى شده وتوكد الأمر وتأكد ... والوكاد حبل يشد به البقر عند الحلب ([٣]) ، وقال ابن منظور(٧١١هـ) : وكد العقد والعهد : أوثقه ، والهمز فيه لغة . يقال أوكدته ، وأكدته إيكادًا وبالواو أفصح أى شددته ويقال وكدت اليمين والهمز فى العقد أجود وتقول : إذا عقدت فأكد وإذا حلفت فوكد .([٤])

وفى تاج العروس (للزبيدى ت ١٢٠٥هـ) : أكد الحنطة داسها ودرسها ، قاله ابن الأعرابى ، وأكده تأكيدًا : وكده إشارة إلى أن الهمزة عن واو كما قاله أئمة الصرف وهو بالواو أفصح . قال تعالى " بعد توكيدها " (٥) . وفى القاموس المحيط فى مادة وكد : "يكد وكودًا أقام وقصد وأصاب والعقد أوثقه كأكده والرحل شدّه والوكائد سُيُور يُشدّ بها جمع وكاد وأكاد " (٦) . وفى مادة أكد فى القاموس : أكد الحنطة داسها وأكده تأكيدًا وكّده والأكيد الوثيق والأكايد والتآكيد سيور يشد بها القربوس إلى دفتى السرج "(٧)

ثانيًا : القسم :

يجمع أئمة اللغة على أن القسم مأخوذ من أيمان القسامة ، فابن سيده (٤٥٨هـ) يقول : والقسم الرأى ، وقيل الشك وقيل القدر ... والقسم اليمين ، والجمع أقسام ، وقد أقسم بالله ، واستقسمه به ، وتقاسم القوم : تحالفوا ، وفى التنزيل (قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ) والقسامة : الجماعة يقسمون على الشىء أو يشهدون " (٨)

ويقول الزمخشرى فى مادة قسم : قسموا المال بينهم قسمًا وقسّموه تقسيمًا واقتسموه وتقسّمُوه وتقاسموه ... وأقسم بالله قسمًا باطلاً وأقسامًا باطلة ، وقاسمهما : حلف لهما وتقاسموا بالله تحالفوا.(٩)

ويقول صاحب اللسان " والقسم بالتحريك : اليمين ، وكذلك المقسم ، وهو المصدر مثل المخرج والجمع أقسام ، وقد أقسم بالله واستقسمه به ، وقاسمه : حلف له وتقاسم القوم : تحالفوا وفى التنزيل (قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ)

وأقسمت حلفت وأصله من القسامة ... والقسامة اسم من الأقسام وضع بوضع المصدر : ثم يقال للذين يقسمون قسامة " ([10])

وهنا يقول صاحب الفصول المفيدة فى الواو المزيدة " يحتمل أن يكون القسم مأخوذاً من القسمة أى إن المقسم أفرز ما يحلف عليه بتأكيد باليمين أو أفرز اليمين من جملة أنواع الكلام لتأكيد ما يروم من القول وأن يكون مأخوذًا من القسامة التى هى الحسن فكأن الحالف حسن ما يقوله بتأكيده باسم الله تعالى " ([11]).

ثالثاً : حروف القسم : (الباء / التاء / الواو) :

أما عن حروف القسم وما بينهم من وشائج وما جاء فيهم من أراء ، فنعرض لبعضها ، قال الزمخشرى عن الباء " والباء لأصالتها تستبد عن غيرها بثلاثة أشياء : بالدخول على المضمر به لأعبدنّه ، وبك لأزورنّ بيتك ، وقال فلا بك ما أبالى ، وبظهور الفعل معها كقولك حلفت بالله ، وبالحلف على الرجل على سبيل الاستعطاف كقولك بالله لما زرتنى وبحياتك أخبرنى " ([12])

أما عن الواو فقد ذهب النحاة إلى أنها بدل من الباء لأنها أشبهتها من جهة أنهما من مخرج واحد وهو الشفتان ، ولأن الباء تفيد الإلصاق والواو تفيد الجمع وهو نوع من الإلصاق فلما كانت فرعًا عنها انحطت عن رتبتها من ثلاثة أوجه أحدها : أن الفعل لا يظهر معها لما تقدم أن أفعال القسم كلها لازمة وإنما يصل إلى ما بعدها بالباء التى تفيد ذلك ، والواو ليس لها هذه الرتبة ، والثانى : أنه لا تدخل إلا على الظاهر دون المضمر ، لأن الإضمار يرد الأشياء إلى أصولها ، والثالث أن الواو لا تجىء فى السؤال

المراد به معنى القسم مجيء الباء ، بالله إلا فعلت وبالله لا تفعل كذا ، وأما التاء فإنها بدل عن الواو لأنها تبدل منها فى حروف كثيرة مثل تراث ، وتخمة ، وتكأة ولكنها لما كانت فرعًا عن الواو فى المرتبة الثالثة قصرت عنها فاختصت باسم الله تعالى كقوله تعالى تالله" (١٣) ويقول ابن جنى عن هذه الابدالات وذلك حين يتحدث على أن التاء فى القسم بدل من الواو وأن الواو بدل من الباء " لما كانت التاء فيه بدلاً من بدلٍ وكانت فرع الفرع اختصت بأشرف الأسماء وأشهرها وهو اسم الله تبارك وتعالى فلذلك لم يقل تزيد ولا تالبيت " (١٤) هذا مجمل الاختلاف بين هذه الحروف من حروف القسم ، مما يؤكد خصوصية كل حرف منهم .

أما عن العنوان الآخر فى البحث "دراسة أسلوبية إحصائية " فيجب أن يطرح من جانبين الجانب الأول : علاقة الأسلوبية بالبلاغة ، والجانب الثانى : علاقة الأسلوبية بالإحصاء ، فعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين حقول البلاغة وحقول الأسلوبية ؛ يرى كثير من المؤيدين فى الأسلوبية واقعًا لتطور أدوات البحث البلاغى وليس نفيًا لها ، ومن هنا يجب الاستفادة من هذا الحقل لهذا الحقل بما يقدمه من إمكانيات علمية مقننة ، وبعد عن الهوى والذاتية ، واستخدام منهج علمى ، ومن هنا جاء تصريح أولمان " ... أنه ليس خطأ محضًا أن يوصف علم الأسلوب بأنه " بلاغة جديدة " تناسب المستويات والمتطلبات العلمية المعاصرة فى حقلى اللغويات والأدبيات على السواء " (١٥) .

تلتقى البلاغة مع الأسلوبية كثيرًا ــ هذا ونحن نضع فى اعتبارنا خصوصية كل منهما ــ وأكثر مناطق التقائهم فى دراسة تشكيل الصورة " تختص الأسلوبية فيها بالجانب الحسى المباشر فى التركيب اللغوى

للنصوص ، وتقوم البلاغة بتحليل تداخلاتها وتصنيف أشكالها ومحاولة تحديد وظائفها وشرح الفلسفة الكامنة ورائها فى الرؤية العامة" (١٦) ، وهـذا مـا تختطه الدراسة لنفسها حيث تقوم الأسـلوبية بوظيفـة الإحـصاء والقيـاس للظاهرة ، وتقوم البلاغة بجوانب التحليل واستنباط الدلالة ، مع قناعتنـا أن الإحصاء وحده غير كاف ، بل تنعدم قيمته إن لم يردفه صاحبه بتحليل لهذه الرؤى الإحصائية ، وبالمثل فالتحليل الذى لا يعتمد على تقنين علمى محدد ، غير كاف أيضًا ، لخضوعه لاختلاف الأذواق والرؤى والميول الشخصية ، ومن هنا كانت مسألة الادعاء بأن الدراسة الأسلوبية قد قامت فى الغرب على أنقاض البلاغة أمرًا يحتاج إلى مراجعة ، حتى فى الدرس النقدى الغربـى ذاته ، فلم تأخذ الأسلوبية أبدًا موقع البديل ، ولم تعط لنفسها وظيفة الإزاحة ، بل جاءت تحمل تقنينًا يسبق التحليل ، وتحديدًا يسبق الاستنباط . لقـد زعـم الكثيرون من أصحاب الاتجاه الأسلوبى ، موت البلاغة (١٧) ، وهذه مـسألة كما سلف تحتاج إلى مراجعة أيضًا على مستوى الاستقبال والتطبيق ، فحين قدم " بييرجيرو" تعريفًا للأسلوبية جعلها " بلاغة ولكنها بلاغة تـستند إلـى تعريف جديد لوظيفة اللغة والأدب المصممين كتعبير عن طبيعـة الإنـسان وعلاقاته مع العالم "(١٨) ، وإذا كان هذا هو طبيعة العلاقـة بـين البلاغـة والأسلوبية فى الدراسات الغربية ، فالأمر فى العربية مختلف ، لأن التراث العربى مرتبط بجذور عميقة ، وبعلاقات فكرية معقدة ، وبأصول اعتقاديـة ثابتة . وليس معنى سقوط البلاغة وقيام الأسلوبية أن يكون ذلـك نموذجًـا واجب التكرار فى الإبداع العربى ، فما نراه من كتابات شيوخنا فى تـراث العربية يجعلنا نرى كم كانت البلاغة منهجًا مكتملاً للتحليل ، فقط لو تـابع الأباء ما وصل إليه الأجداد أو حتى استدرك الأبناء ، ما فات الأباء . " لقد كان وهمًا ما تصورناه ، ونحن واقعون تحت تأثير النقد الاجتماعى والنفسى

والتاريخي والانطباعي من إمكان تجاوز البلاغة القديمة باعتبارها قواعد جامدة . وإذا كانت هذه البلاغة قد فقدت الكثير من المواقع في المؤسسات التعليمية فإن ثورة علوم اللغة وما أعقب ذلك قد نبه الأذهان إلى أن البلاغة لن تموت " (١٩)

إن الغرض إذاً هو البحث في كيفية الاستفادة من الدرس الأسلوبي . فلماذا لا تستفيد البلاغة العربية من الأسلوبية ، ومن أدواتها لكي تتنوع طرق التناول وتؤتي بثمار جديدة ، إن الأسلوبية تدين بالفضل الكبير للبلاغة فقد خرجت من عباءتها ، وهذا دلالة على توالد العلوم بعضها من بعض ، ولتطور المناهج بعضها عن بعض ، ومن هنا لا يمكن أن تنفر الأسلوبية من كونها بلاغة . فلو عدنا إلى العربية ولاحظنا الثراء التي تتمتع به في بنيتها الصوتية ، والصرفية ، والمعجمية ، واللغوية ، والتركيبية ، والنحوية ، والدلالية ، والبلاغية ، يحتم على المشتغلين بها فرضية فهم هذه الأدوات أولاً ، ثم يأتي بعد ذلك تطوير التعامل معها ، وليس المقصد من هذا القول هو ترديد شعارات الافتخار ، وإنما أقول ذلك حين أجد كلامًا لرائد من رواد الأسلوبية الفرنسية يشكو من " أن المحصول الأسلوبي للبنى الصرفية ضعيف عمومًا في اللغة الفرنسية ، كذلك فالتكوين فيها من جهة أولى ضيق جدًا " (٢٠) ، فإذا كانت اللغة الفرنسية والتي ترعرع بين جنباتها العديد من المذاهب النقدية والفكرية الحديثة عامة ، والأسلوبية خاصة ضعيفة في بنيتها الصرفية والتكوينية ، وأفرزت العديد من هذه المناهج والمذاهب ثم استفادت منها كل هذه الاستفادة ، فلماذا لا تستفيد لغة كالعربية ، بقوة تكويناتها ، وتركيباتها تلك ، من هذه المذاهب والمناهج والمدارس خاصة المدرسة الأسلوبية ؟ (٢١) ، ولما لا تستفيد البلاغة العربية من تطور أدوات البحث

الأسلوبى ؟ ولماذا لا نقيم مزواجة بين البلاغة والأسلوبية ؟ إن مزاوجة البلاغة بالأسلوبية يمثل " نوعًا من النقد يركز فى مجمله على النص فى صياغته دون دخول فى جوانب فرعية لا تتصل بصميم التركيب اللغوى " (٢٢) . أما الجانب الآخر فى العنوان وهو علاقة الأسلوبية بالإحصاء ، فعلى الرغم مما شاب هذه العلاقة من مد وجذر فإننا سنذهب إلى قياس الظاهرة ثم نقوم بتحليلها وتبيين خصائصها .

قياس الظاهرة :

تأكيد الجملة الاسمية بالقسم الواو :

اسم السورة	رقم الآية	الشاهد
النساء	٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾
الأنعام	٢٣	ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

يونس	٥٣	۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾
الحجر	٩٢	فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾
مريم	٦٨	فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾
طه	٧٣	قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٣﴾
سبأ	٣	وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ
يس	١-٣	يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾
الصافات	١-٤	وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾

ص	١	صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾
الزخرف	١-٣	حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾
الدخان	١-٣	حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾
الأحقاف	٣٤	وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾
ق	١	قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾
الذاريات	١ - ٥	وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾
	٧	وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾
	٢٣	فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ

		تَنطِقُونَ ﴿٣٣﴾
الطور	١ – ٧	وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾
النجم	١ – ٢	وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾
التغابن	٧	زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
القلم	١ – ٢	نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
المدثر	٣٢– ٣٥	كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾
المرسلات	١–٧	وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾

		فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾
النازعات	١–٥	وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾
التكوير	١٧–١٩	وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾
الانشقاق	١٧ – ١٩	فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾
البروج	١–٤	وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾
الطارق	١–٤	وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

	١١-١٣	وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾
الفجر	١-٤	وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
الشمس	١-٧	وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾
الليل	١-٤	وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾
الضحى	١-٣	وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

التين	١-٤	وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾
العاديات	١-٦	وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾
العصر	١ - ٢	وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾

تأكيد الجملة الاسمية بالقسم : الباء

اسم السورة	رقم الآية	الشاهـــــــــــــد
النساء	٦٢	فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾

المائدة	٥٣	وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾
	١٠٦	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾
	١٠٧	فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ۖ إِنَّآ إِذًا

		لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾
الأنعام	١٠٧	وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
التوبة	٤٢	لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
	٥٦	وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾
	٦٢	يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
	٧٤	يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ

		ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾
	٩٥	سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾
النحل	٣٨	وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
النور	٥٣	* وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ

		لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾
النمل	٤٩	﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾
فاطر	٤٢	وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾
الواقعة	٧٥- ٧٧	فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾
الحاقة	٣٨-٤٠	فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾
المعارج	٤٠	فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا

		لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾
القيامة	١-٢	لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾
التكوير	١٥-١٦	فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾
الانشقاق	١٦	فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
البلد	١-٤	لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾

تأكيد الجملة الاسمية بالقسم : التاء

اسم السورة	رقم الآية	الشاهـــــــــــــــد
يوسف	٧٣	قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾
	٨٥	قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾
	٩١	قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾
	٩٥	قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾
النحل	٥٦	وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾
	٦٣	تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ

		وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾
الأنبياء	٥٧	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
الشعراء	٩٧	تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾
الصافات	٥٦	قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾

ملاحظات على نتائج القياس :

فى القسم بالواو :

١ ــ نجد أولاً أن السور التى وقع فيها ــ القسم بالواو ــ هى سور مكية ما عدا سورتى (النساء / والتغابن) وهما أشبه بالسور المكية فى موضوعاتهما ، كما يقول صاحب الظلال فى حديثه عن سورة التغابن " هذه السورة أشبه شىء بالسور المكية فى موضوعها وفى سياقها وفى ظلالها وايحاءتها وبخاصة المقاطع الأولى منها فلا يكاد الجو المدنى يتبين إلا فى فقراتها الأخيرة "([٢٣]) .

٢ ــ للسور المكية خصائص وميزات تتمزى بها عن السور المدنية منها : ما هو شكلى ، أى ما ارتبط ببناء الآية وتكوينها وتركيبها ، حيث الفواصل القصيرة مما يجعل قوافيها متقاربة ، ومتجانسة ، وقصر السور وإيجازها ، ومنها : ماهو معنوى حيث الصور العنيفة ، والمعانى المعبرة عن الحدث والمؤثرة فى النفس والتى تتخذ من الإيجاز طريقًا لأنها تخاطب أفصح

العرب وأعلمهم بالعربية وطرق تعبيرها وفنون القول فيها ، ومنها ما هو موضوعى ، حيث تعالج موضوع العقيدة وتثبيتها فى النفوس ، فالرسالة فى بدايتها والعقيدة لم تتمكن من النفوس لدى الكثيرين بعد ؛ لكنها تعرف ما تميز به العرب من حجة وجدال وقدرة بيانية على المحاورة كما وصفهم القرآن بعد ذلك {فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً } الأحزاب ١٩ ومن هنا كان على هذه السور ، وفى هذه المرحلة أن تتعامل مع هؤلاء بعبقرية نفسية عالية وذلك من خلال ربط القلب البشرى بالله تعالى وتدعيم إيمانه بالغيب ، ولذلك ظلت تحمل مطاردة عنيفة للهواجس والأوهام والأباطيل والشكوك التى تنتاب الإنسان ، وتنتاب أصحب القلوب التى لم يرسخ الإيمان فيها لتؤثر فى عقيدتهم ، اتخذت لذلك من قصص الأنبياء ومن الأمم الغابرة العظة والعبرة ، فكانت طبيبًا معالجًا ، ودواء شافيًا كافيًا . وعلى الجانب الآخر ، وعلى المستوى الموضوعى تتجه هذه السور ــ المكية ــ إلى العقيدة بموضوعاتها الرئيسة : الوحدانية ، القرآن ، الوحى ، الآخرة ، وما يصاحبها من تأثير فى الناس وتأثر للناس بها ، ومن هنا كان الخطاب الغالب (يا أيها الناس) وما ينبثق عن ذلك من صور للحياة التى يعيشها المسلمون فى بداية العقيدة من خلال علاقتهم مع بعضهم البعض ، وعلاقاتهم مع من يخالفونهم العقيدة ، والتركيز على جانب الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وكيفية تناسب الفطرة مع الإيمان بالله ومع ما يقدمه الدين الجديد ــ دين الفطرة ــ من مقومات الفطرة ، ومن هنا كانت تعزف دائمًا هذه السور على القلب البشرى لتنقيته من الهواجس والشكوك ، وموقف النفس البشرية مما يصادفها من الحياة ، وامتدادًا لهذه الصورة الحياتية جاءت فى هذه السور

صورة الحشر ، والموت ، والساعة ، والبحث فى توعية القلب البشرى بهذه الحقائق مما يزرع فيه حقائق الإيمان والتقوى .

ولمتدادًا لهذا الجانب الموضوعى تحمل هذه السور المكية طابعًا خاصًا فى العرض يتنوع بين الخشوع والسكون بين الرهبة والجلال ، بين الترغيب والترهيب ، الترغيب فى حسن جزاء المطيع وضرب المثل بمن أطاع وأناب ، ونال على هذه الإنابة الثواب ، والترهيب من سوء عاقبة العصاة المذنبين ، الجاحدين المتكبرين ، ومن هنا ركزت كثير من الآيات ـــ من جانب ـــ على طابع الاستسلام لله تعالى والخشوع والخضوع وما يصاحب ذلك من اجتماع جميع الكائنات حوله فى سهولة ويسر وقناعة تنزع بصاحبها ناحية الجانب الوجدانى الذى ينبثق عن حقيقة إيمان النفس البشرية . كما تأخذ ـــ من جانب آخر ـــ الحدة فى الحديث عن يوم القيامة والبعث والحشر ، وكيفية تأكيده فى نفوس المشركين ، وما يختبىء فى حناياهم من هواجس ووهن فى العقيدة . ومن هنا نزعت إلى جانب التركيز على ضرب المثل بالأمم السابقة وما أصابها من خسف وإبادة .

٣ـــ لما كانت أغلب شواهد التوكيد بالقسم مكية كما أسلفنا كان لها طابع بلاغى خاص يتناسب مع طبيعة البيئة المكانية والبيئة الزمانية ، فهى تخاطب أبلغ العرب وأفصحهم ولذلك كانت البلاغة بكل أشكالها وأساليبها هى المطية التى تمتطى فى مثل هذه البيئة ومن هنا جاء دور القسم وما يحمل من التنبيه والإنذار أولاً ، ومن طابع التخويف والزجر والوعد والوعيد والتهكم والسخرية والتحدى ثانيًا ، وكان توقيتها فى البداية يحمل رحمة من الله تعالى وحتى لا يكون للناس عذر فصار القسم هو الوسيلة المثلى لهذا الأمر .

كانت العرب تخاف القسم حتى فى مرحلة ما قبل الإسلام فكانت تحترز من الأيمان الكاذبة وأنها تجلب على الكاذب بها ، الويل والشؤم ، فجاء الإسلام ، فنهى عن ذلك ، (وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) البقرة "٢٢٤" ، وقال: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) المؤمنون "٣" والذى ذهب البعض أن اللغو هو الأيمان وروى البخارى فى كتاب المناقب باب القسامة فى الجاهلية كثيرا من الأحاديث التى تحكى فى هذا الإطار وما ذكره صاحب فتح البارى فى شرحه لحديث ابن عباس " روى الفاكهى من طريق ابن أبى نجيح قال حلف ناس عند البيت قسامة على باطل ، ثم خرجوا فنزلوا تحت صخرة فانهدمت عليهم وعن طريق طاوس قال " كان أهل الجاهلية لا يصيبون فى الحرم شيئاً إلا عجلت لهم عقوبته " (٢٤) ، وقد ذكر ابن حمدون الدواعى التى تحمل الرجل على الحلف وهى صفات لا شك ذميمة ، وخصال بعيدة عما عرف عن العرب من محامد ، يقول " وإنما يحمل الرجل على الحلف إحدى خلال: إما مهانة يجدها في نفسه .. وحاجة إلى تصديق الناس إياه ، وإما عي بالكلام حتى يجعل الأيمان لكلامه حشواً ولمنطقه وصلاً، وإما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه بمنزلة من لا يقبل له قول إلا بعد جهد اليمين ، وإما عبث في القول وإرسال اللسان على غير تروية ولا تقدير ولا حسن تعويد له ، فيعود قول السداد والتثبيت".(٢٥) وقد صاغ النابغة المثل العربى الشهير " كيف أعاودك وهذا أثر فأسك " والذى يضرب لمن لا يفى بالعهد ويضيع الأيمان:

فقال تعَالَى : نجعل الله بيننا على ما لنا ،أو تنجزى لى آخره !

فقالت : يمين الله أفعل ! إننى رأيتك مشئومًا يمينك فاجره !
أبى له قبر لا يزال مقابلى وضربة رأس فوق رأسى فاقره ! (٢٦)

يقول صاحب صبح الأعشى " اعلم أن مبنى الأيمان على الحلف بما يعظمه الحالف ويتحرز من الحنث عن الحلف به فأهل كل ملة يحلفون بما هو عظيم لديهم فى حكم ديانتهم ولا خفاء بأن كل معترف بالله تعالى بالربوبية من أهل الديانات يحلف به سواء كان من أهل الكتاب أو مشركًا ضررة اعترافهم بألوهيته تعالى والانقياد إلى ربوبيته " (٢٧) وكذلك ثبت فى اليقين الإنسانى أن من يبدأ كلامه حلفًا فسيأتى بأمر عظيم يحتاج من متلقيه السمع والإنصات .

٤ – لم يقسم المولى عز وجل كثيراً على إثبات وحدانيته فى الآيات التى جاء فيها القسم منه تعالى ، فالتاريخ الفكرى للمجتمع العربى خاصة ذهب فى هذا الأمر مذهبًا واضحًا يؤكد أن لهذا الكون رب واحد ، فالبعر يدل على البعير والسير يدل على المسير ولابد لهذا الكون من خالق قادر عليم :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وقد أنبأ القرآن بذلك (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ (العنكبوت ٦١) ومن هنا لم يأت من آيات القسم ما يدلل على وحدانية الله عز وجل إلا ما جاء من قسم سورة الصافات (وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾) ولكنه أقسم كثيرًا على إثبات صدق الرسالة ، وأنها من عند الله تعالى ليواجه ما اتهم به سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتهم به القرآن على مر العصور من افتـــــــراء (يس ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾)وماجاء فى الـنجم(وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾) و التكـوير (وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾) ويـونس (* وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾) وص(صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾) و الزخرف (حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾) وق(قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾) والـــذاريات (فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾)

وفى القسم بالباء أقسم المولى عز وجل على عظمة القرآن ففى الواقعة (فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾) والحاقة (فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾) والتكـــوير(فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾

وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾) ولكن القسم جاء فى أغلبه عن اليوم الموعود وعن الساعة وإثبات مجيئها ، ويوم القيامة وإثبات وقوعه ، والبعث والحشر وإثبات صدقه . والسؤال والعذاب وإثبات حدوثه .

وفى القسم بالواو :

ـ عن صدق اليوم الموعود : فى الذاريات (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾) والمرسلات (وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾) والبروج (وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾

ـ وعن اتيان الساعة (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ)

ـ وعن البعث جاء في التغـابن (زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧)

والنازعات (وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧) والعاديات (وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ)

ـ وعـن الحـشر فـى مـريم (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨)

ـ وعن السؤال فى الحجر (فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢)

ـ وعن العذاب جاء فى الطـور (وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ

ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧) وعن عذاب السابقين من الأمم (وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦)

وفى القسم بالباء :

ـ جاء عن اليوم الموعود فى المعارج (فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢) وفى القيامة (لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢) وفى البلد بعد القسم (فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢) .

وفى القسم بالتاء يقسم الله تعالى فى سورة النحل عن السؤال (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۚ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۝٥٦ كما يقسم عن عذاب الأمم السابقة فى النحل أيضًا

(تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾)

٥ ــ إن من إعجاز القرآن الكريم ــ بداية ــ هذا الكم من التنبيه والزجر والوعيد على الحساب والعقاب واليوم الآخر والبعث والجزاء وهو يعلم ما سيطرأ على إيمان الناس فى كل زمان ومكان من فتور وضعف وما يستخدمه أصحاب الملل والعقائد الآخرى من إفساد لعقيدة أهل هذا الدين الخاتم ، وما يصل إليه الناس من بعد عن الدين فجاء هذا الزجر وهذا القسم المؤكد ليقوى فيهم الإيمان ويرفع من قدرة النفس على المواجهة للتصدى للشر والباطل و الدعوة للخير والبر وكما يقول صاحب تفسير المنار " علمت أن ذلك ما كان ليفعل فعله العاجل فى شعب كبير إلا بتكراره فى القرآن بالأساليب العجيبة التى فيه من حسن البيان وتقريب البعيد من الأذهان ... ومن إعجازه أنها لا تمل ولا تسأم " ([٢٨])

ــ فى القسم بالواو وفى سورة الذاريات نجد ترتيبًا يحمل إعجازًا بلاغيًا يتدرج فيه المولى عزوجل من القسم بالأمور الأرضية حين قال (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾) ، إلى القسم بالأمور العلوية فقال (وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾) والسماء والأرض من آيات الله العظيمة (لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾) (غافر ٥٧) ثم يصل المولى عزوجل إلى القسم بذاته وهو الأعظم

الأرقـــى فقـــال (فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾) .

٥ ــ أقسم الله بذاته ، وأقسم بمخلوقاته ، وأقسم بنبيه صلى الله عليه وسـلم حين قـال (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾) " الحجـر ٧٢" ، وذلك ليعرف الناس قدره ومكانته ، ولم يكن الأمر كذلك فحسب بل أضـاف المولى عز وجل ذات النبى صلى الله عليه وسلم لذاته من خلال الـضمير المتصل (الكاف) و(الياء) وذلك لتعضيد النبى والشد مـن أزره ، إذا كـان الموقف يحتاج لذلك ، والرفع من مكانته وهذا ما حدث فى سورة النـساء (٦٥) فهو يقسم على أمر يحدد مكانة النبى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين فقد ربط إيمانهم وهو الأمر العظيم المبتغى لدى المؤمنين بتحكيم النبى صلى الله عليه وسلم فى كل أمور حياتهم فما حكم به فهو الحق وهو الـذى يجـب الانقياد له وهو المسلم به وما تركه فهو المتـروك المنهـى عنـه (ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾) ولما لا والنبى صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما جاء فى "الأحزاب ٦" (ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾)

وفى الحجـــر ٩٢ (فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾) وفـــى مـــريم ٦٨ (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ) يستمر الموقف المساند للنبى ، كـــان سابقًا فى مواجهة المخالفين من المؤمنين وهو الآن فى مواجهة المخالفين من الكفار ، وفى كلا الموقفين تستمر المساندة والتعضيد ، وفى كـــلا المـــوقفين ثبتت المخالفة له وللنبيين من قبله من المقتسمين المتحالفين الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم ، هنا أقسم الله تعالى علـــى أن يحـــشرهم جميعًـــا وشياطينهم الذين يعبدون من دونه .

ولما ارتبط الأمر بالبعث والساعة أمر الله نبيه صلى الله عليه وســـلم أن يقسم بذات ربه لهؤلاء المنكرين وكافأه ربه بهذا الارتباط العظيم حين نـــسب له هذه الربوبية ، فى الآيات السابقة كان القسم منه تعالى ، وشرف النـــسب منه تعالى أيضًا وهنا جعل القسم على لسانه كما جاء فى هذه الآيات :

يونس "٥٣" (وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ)

وســـــــــبأ "٣ "(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ)

والتغابن "٧"(زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾)

ولم يفت المشركون أن يحلفوا كذبًا بذات الله وينسبوا أنفسهم له كما جاء فى :

الأنعام ٢٣ (ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾)

الأحقاف ٣٤ (وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾) .

وفى هذه الآيات التى جاء فيها القسم بالواو نلاحظ أن المقسم به لفظ من ألفاظ ذات الله تعالى وهو (رب) ، والربّ أصله من ربب ، وقد أجمعت كتب المعاجم على أن ربّ كلّ شيء مالك ومستحقه وصاحبه ، قال صاحب اللسان(٢٩) الرب هو الله عز وجل ، هو رب كل شيء أى مالكه وله الربوبية على جميع الخلق .... ولا يقال الرب فى غير الله إلا بالإضافة ، .. ويقال الرب بالألف واللام لغير الله وقد قالوه فى الجاهلية للملك ... والرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربى والقيم والمنعم .. ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عز وجل .

٦ ــ فى جميع السور التى أقسم الله فى ابتدائها بغير الحروف كان القسم لإثبات أحد الأصول الثلاثة التوحيد أو الرسالة أو اليوم الآخر وما فيه من بعث وعقاب وجزاء .

٧ ــ فى السور التى بدأت بالحروف المقطعة كان المقسم به هو القرآن الكريم وهذا الأمر يحيلنا إلى نقطة مهمة فى السياق الإعجازى للقرآن الكريم وهو التناسب فلما كان الكلام على القرآن وما به من عظمة وإعجاز كانت البداية بهذه الحروف التى يتكون منها كتاب الله الخالد وهذا ما يوحى

بالتحدى ، وهذا واضح فى (يس) ، (ص) ، (الزخرف) ، (الدخان) ،(ق) ، القلم .

٨ ــ لم يقف التناسب بين المقسم به والمقسم عليه عند هذا الحد بل إننا لوتتبعنا الأمر لوجدنا هذا التناسب متواترًا ، فى كتاب الله جميعه ، ففى سورة الانشقاق يتناسب المقسم به وهو الشفق ، والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق ، مع جواب القسم (لتركبن طبقًا عن طبق) الذى يعنى اختلاف الأحوال من حال إلى حال ومن لحظة حياتية لإختها بين الفرح والحزن ، والسعادة والشقاء والحياة والموت ، والقيامة والبعث وهذا يناسب المقسم به وما فيه من نور وظلمة وتحول بين الأمرين من الناحية المادية والناحية المعنوية حيث تذبذب القلوب بين الإيمان والكفر .

وفى سورة البروج كان التناسب موجودًا بين السماء ذات البروج وبين الأخاديد التى جاءت خطوطًا مجعولة فى الأرض تشبه بروج السماء ، ومدارات كواكبها وهى شديدة اللمعان وبينها وبين النار التى فى الأخاديد شبه قريب ، وفى سورة الليل حيث جاء القسم بالليل والنهار وهما يمثلان النور والظلمة أى الخير والشر ، وهما أيضًا ما ينتج عن سعى الناس ، وهما دلالة على نظام الله في الكون وحكمته الشديدة فى التدبير ، وفى الضحى لما تعلق الأمر بانقطاع الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعيُره قومه بأن ربه قلاه فقد أقسم المولى عز وجل بالضحى ولم يقسم بالفجر أو بالنهار لتناسب الضحى وهو اللحظة التى تلى الشروق مع هذه اللحظة فى تاريخ الدعوة ثم تليها (والليل إذا سجى) ولم يقل (والليل إذا يغشى) ، أو(والليل إذا يسر) كما جاءت فى أماكن آخرى لأن والليل إذا سجى أكثر تناسبًا فى هذا المكان

لما فيها من سكون وصمت وظلمة تتناسب مع صمت الانقطاع ، والأمثلة كثيرة كما أسلفنا أنه أمر متواتر فى كتاب الله (٣٠)

٩ ــ وامتدادًا للتناسب الذى ذكرناه فى الفقرة السابقة نجد أن الله تعالى حينما أراد أن يقسم على شىء يتعلق بالوحدانية (فى السور الخمس موضع حديثنا فى الفقرة القادمة) اقسم بالصافات وهى ــ كما ذهب أغلب المفسرين ــ الملائكة ، وهى كائنات نورانية عابدة لله طوال الوقت طائعة له ، ثم جعل من أعمالها زجر الشياطين عن استراق السمع ، ثم تأتى وظيفتها الآخرى وهى تبليغ كلام المولى عز وجل لرسله لتبليغها لخلقه ، إن عناصر الصورة هنا تجمع بين الملائكة والشياطين والرسل والرسالات ، كما تجمع الصورة الحيز المكانى الذى يجمع كل هذه العناصر من خلال الآية الكريمة (رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝) . من هنا كان مناسبًا أن يتحدث المولى عز وجل عن الوحدانية فى هذا الإطار ، ولما تحدث عن يوم القيامة والحشر كان الحديث معجزًا ، فالذاريات ، والمرسلات ، والنازعات ، والعاديات ، لوتتبعنا ما فيهن من حركة وما فيهن من صعوبة موقف واضطراب بين الخوف والخشية ، وضياع الأمل كان المقسم به أليق بالحركة فالذاريات وهى الرياح ــ على أغلب الأراء ــ التى تجمع وتفرق وهى التى تحمل السحاب وهى التى تجرى به وهى التى تقسمه ، والمرسلات ــ على أغلب الأراء ــ الملائكة الذين يقومون على إرسال النعم للعباد ، وهم يعصفون بروح الكفار وينشرون أجنحتهم عندما يحطون على الأرض ، كما أنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وهم يلقون بالذكر للملائكة ، والنازعات ، الملائكة التى تنزع أرواح الكفار بشدة ،

وتنشط أرواح المؤمنين ، ويقبضون أرواح الكفار إلى النار وأرواح المؤمنين إلى الجنة ، والعاديات الخيل الغازية فى سبيل الله ، كل هذا الذى يجمع بين الحركة والتفريق ألبق بيوم القيامة والحشر وما فيه .

١٠ ــ أقسم الله بالصافات (الزاجرات ، التاليات) ، والذاريات (الحاملات ، الجاريات ، المقسمات) ، والمرسلات (العاصفات ، الناشرات ، الفارقات ، الملقيات) ، والنازعات (الناشطات ، السابحات ، السابقات ، المدبرات) ، والعاديات (الموريات ، المغيرات) سواء كانت صفات لشىء واحد ، أوكانت أشياء مختلفة ، فهى تدخل فى إطار جمع السلامة المؤنثة ولما كان موضوع القسم فى هذه السور يخص يوم القيامة والحشر وهذا الأمر يخص ما يعقل من خلق الله تعالى كان القسم بغيرهم .

١١ــ ارتبط القسم بالتاء فى القرآن الكريم بلفظ الجلالة (الله) فى تسعة مواضع جاء منها فى سورة يوسف : فى أربعة مواضع ، كله كان على لسان أخوة يوسف (أبناء سيدنا يعقوب) وفى النحل فى موضعين : من الله تعالى لنبيه مرة وللمشركين مرة ، وجاء فى الأنبياء على لسان سيدنا إبراهيم ، ومرة فى الشعراء على لسان الغاوين والأنداد الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ، ومرة فى الصافات على لسان رجل مؤمن من أهل الجنة يخاطب رجلا من أهل النار كثيرًا ما دعاه إلى الضلالة والكفر بالبعث والقيامة .

١٢ ــ القسم بالباء جاء فى ثمان وعشرين آية منها : أربع عشرة مرة على لسان الكافرين المنافقين الذين أقسموا بالله ، كما أقسم الله تعالى بمخلوقاته ثلاث عشرة مرة ، ومرة أقسم الله بذاته تعالى ، والملاحظ هنا تعادل الرقمين وهذا من الإعجاز العددى الذى يتناسب فيه قسم الله مع قسم الكافرين لا المنافقين ، لكن شتان بين القسمين ، فالله يقسم بما شاء على ما يشاء سبحانه

قسمًا صادقًا ، وهؤلاء يقسمون بالله ؛ لكنهم أصحب أيمان كاذبة ، وقلوب فاجرة .

١٣ــ صاحب حرف القسم الباء فعل القسم (حلف ، أقسم) وهذه من الخصائص والميزات التى تتمزى بها الباء عن غيرها من الحروف كما سلف لأن أفعال القسم لازمة كما يذهب النحاة فكان لازمًا أن تصاحب الباء هذه الأفعال للتعدية . كما ارتبطت عبارة جهد أيمانهم بالفعل أقسم فى حالة المضارعة مع واو الجماعة .

الهوامش والتعليقات :

١) السيوطى (الحافظ جلال الدين بن أبى بكر) : معتـرك الأقـران فـى إعجاز القرآن تحقيق ، على محمد البجـاوى ، المجلـد الأول ، دار الفكـر العربى ، د.ت ص ٤٥١.

٢) الأزهرى (أبومنصور محمد بن أحمد) : تهذيب اللغة : مادة ، وكد .

٣) الجوهرى (اسماعيل بن حماد) : الصحاح ، تحقيق ، أحمـد عطـا ، مصر ، دار الكتاب العربى د.ت . مادة ، وكد.

٤) ابن منظور : لسان العرب حققه ، عبد الله على الكبير وآخـرون ، دار المعارف ، د.ت ، المجلد الحادى عشر، ص ٤٩٠٥ مادة وكد ، فصل الواو حرف الدال ، وانظر أكد ، ج١ ، ص ١٠٠ . فصل الهمزة حرف الدال .

٥) الزبيدى (محمد بن محمد) : تاج العروس مـن جـواهر القـاموس ، بنغازى ، دار ليبيا للنشروالتوزيع د.ت ، فصل الهمزة / باب الدال .

٦) الفيروزبادى : القاموس المحيط ، مطبعة دار المـأمون ، ط٤ ، ج١ ، ١٩٣٨، وفصل الواو / باب الدال.

٧) الفيروزبادى : القاموس المحيط : فصل الهمزة / باب الدال .

٨) ابن سيده (على بن إسماعيل) : المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق د/ مراد كامل ، ط١ ، ج٦، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ١٩٧٢ ، مادة قسم .

٩) الزمخشرى (جار الله بن عمر) : أساس البلاغة ، بيروت ، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢٠٠٠ ، مادة قسم ، ص٥٠٧ .

١٠) أنظر ذلك ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الثامن ص ٣٦٢٨ ، مادة قسم ، فصل القاف حرف الميم ، و صحيح البخارى ، كتاب المناقـب ، باب القسامة فى الجاهلية ، رقم ٣٥٥٧ .

١١) الدمشقى (صلاح الدين أبوسعيد خليل) : الفصول المفيدة فى الواو المزيدة ، تحقيق د/ حسن موسى الشاعر ، عمان ، دار البشير للنشر ، ١٩٩٠ط١ ج١، ٢٣٧ .

١٢) الزمخشرى (جار الله أبو القاسم بن عمر) : المفصل فى صنعة الإعراب ، تحقيق د/ على بوملحم ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ط١ ، ١٩٩٣ ، ج١ ، ٤٨٢ .

١٣) الزمخشرى ، المرجع السابق ، ج١ ، ٣٨٣ ، وأنظر ، الدمشقى : المرجع السابق ج١، ٢٤١. وابن جنى : سر صناعة الإعراب ، تحقيق د / حسن هنداوى ، دمشق ، دار القلم ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ج١ ، ١٤٣.

١٤) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ، المرجع السابق ، ج١ ، ١٠٢.

١٥) ستيفن اولمان ، اتجاهات جديدة فى علم الأسلوب ، ضمن كتابه اللغة والأسلوب ، ترجمة د/ شكرى عياد ، ضمن مختاراته اتجاهات البحث الأسلوبى ط٣ ، القاهرة ، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع ١٩٩٩، ص ١٢١

١٦) د/ صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة) الكويت ١٩٩٢، ص ١٨٧.

١٧) انظر الفصل الذى عقده بييرجيرو عن سقوط البلاغة فى كتاب الأسلوبية ، ترجمة د / منذر عياشى ، ط٢ ، حلب ، مركز الإنماء الحضارى ، ١٩٩٤ ، من ص ٣٣ : ٤٨.

١٨) بيير جيرو ، المرجع السابق ، ص ٤٧.

١٩) الولى محمد ، الصورة الشعرية فى الخطاب البلاغى والنقدى ، بيروت ، المركز الثقافى ١٩٩٥ ، ص٦٦.

٢٠) بيير جيرو ، المرجع السابق ، ص٦١.

٢١) انظر للباحث ، التشكيل الاستعارى فى شعر أبى العلاء المعرى دراسة أسلوبية إحصائية ، دكتوراة ، كلية البنات ، جامعة عين شمس .

٢٢) د / محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤، ص ٧ .

٢٣) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، ط١١، ١٩٨٥ ، المجلد السادس ، ٣٥٨٣ .

٢٤) أنظر صحيح البخارى : كتاب المناقب ، باب القسامة فى الجاهلية ، رقم ٣٥٥٧ وأنظرالشرح فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى .

٢٥) ابن حمدون٥٦٣ هـ : أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن ، التذكرة الحمدونية ، تحقيق إحسان عباس ، نصر عباس ، بيروت ، دار صادر ١٩٩٦ص ٣٧٥.

٢٦) انظر القصة فى : الميدانى (٥١٨هـ)، أبو الفضل أحمد بن محمد : مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ن بيروت ، دار المعرفة ، ج٢، ص ١٤٥، ١٤٦.

٢٧) انظر(القلقشندى) أحمد بن على : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، تحقيق د/ يوسف على طويل ، ط١ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٧(المقالة الثامنة فى الأيمان) .

٢٨) رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، ط١، مصر ، مطبعة المنار ، ١٣٥٣، ج١١ ، ص ١٣٤٩ .

٢٩) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ربب (فصل الراء ، حرف الباء)

٣٠) ذكر السيوطى أن علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين ، وقال فى تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط .أنظر : السيوطى ، معترك الأقران

في إعجاز القرآن تحقيق ، على محمد البجاوى ، المجلد االأول ، دار الفكـر العربى د.ت ص ٥٥.

المصادر والمراجع :

ابن جنى (أبو الفتح عثمان٣٩٢هـ) :

- سر صناعة الإعراب ، تحقيق د / حسن هنداوى ، ط١ ، دمشق ، دار القلم ، ١٩٨٥ .

ابن حمدون (أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن ٥٦٣ هـ):

- التذكرة الحمدونية ، تحقيق إحسان عباس ، نصر عباس ، بيروت ، دار صادر ١٩٩٦.

ابن سيده (على بن إسماعيل٤٥٨هـ) :

- المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق د/ مراد كامل ، ج٦ ، ط١ ، معهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ١٩٧٢ .

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين الأنصارى ٧١١هـ):

- لسان العرب : حققه عبد الله على الكبير وآخرون ، المجلد الحادى عشر، دار المعارف ، د.ت .

بيير جيرو :

- الأسلوبية ، ترجمة د / منذر عياشى ، ط٢ ، حلب ، مركز الإنماء الحضارى ، ١٩٩٤ .

الجوهرى (اسماعيل بن حماد ٥٣٨هـ) :

_ الصحاح ، تحقيق، أحمد عطا ، مصر ، دار الكتاب العربى ، د.ت .

الدمشقى (صلاح الدين أبو سعيد خليل ٧٦١هـ) :

- الفصول المفيدة فى الواو المزيدة ، تحقيق د/ حسن موسى الشاعر ج١، ط١، عمان ، دار البشير للنشر ، ١٩٩٠ .

رشيد رضا :

- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، ج١١ ، ط١ ، مصر ، مطبعة المنار ، ١٣٥٣.

الزبيدى (محمد بن محمد ١٢٠٥هـ) :

- تاج العروس من جواهر القاموس ، بنغازى ، دار ليبيا للنشروالتوزيع ، د.ت

الأزهرى (أبومنصور محمد بن أحمد ٣٧٠هـ) :

- تهذيب اللغة.

الزمخشرى (جار الله أبو القاسم بن عمر ٥٨٣هـ) :

- أساس البلاغة ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠

- المفصل فى صنعة الإعراب ، تحقيق د/ على بوملحم ، ط١ ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٩٣ .

ستيفن اولمان :

- اتجهات جديدة فى علم الأسلوب ، ضمن كتابه اللغة والأسلوب ، ترجمة د/ شكرى عياد ، ضمن مختاراته اتجاهات البحث الأسلوبى ط٣ ، القاهرة ، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع ١٩٩٩.

السيوطى (الحافظ جلال الدين بن أبى بكر ٩١١هـ) :

- معترك الأقران فى إعجاز القرآن تحقيق ، على محمد البجاوى ، المجلد الأول ، دار الفكر العربى ، د.ت .

سيد قطب :

- فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، ط١١، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٥ .

شعيب خلف :

ـ التشكيل الاستعارى فى شعر أبى العلاء المعرى دراسة أسلوبية إحصائية ، رسالة دكتوراة ، جامعة عين شمس ، كلية البنات.

د/ صلاح فضل :

- بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة) الكويت ١٩٩٢.

الفيروزبادى :

- القاموس المحيط ، مطبعة دار المأمون ، ط٤ ، ج١ ، ١٩٣٨.

القلقشندى (أحمد بن على٨٢١هـ) :

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، تحقيق د/ يوسف على طويل ، ط١ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٧.

د / محمد عبد المطلب :

- البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤، ص ٧ .

الميدانى (أبو الفضل أحمد بن محمد ٥١٨هـ):

مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار المعرفة ، ج٢، د، ت.

الولى محمد :

- الصورة الشعرية فى الخطاب البلاغى والنقدى ، بيروت ، المركز الثقافى ١٩٩٥ .